**الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية**

 **وزارة التعليم العالي والبحث العلمي**

 **جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية**

 **كلية الآداب واللغات**

 **قسم اللغة العربية وآدابها**

 **المطبوعة البيداغوجية في مقياس النظرية**

 **النسقية العربية السنة أولى ماستر**

 **تخصص لسانيات عربية**

**إعداد :د / حمزة السعيد**

 **السنة الجامعية 2017/2018**

 **بسم الله الرحمان الرحيم**

 **أستاذ المادة : حمزة السعيد**

 **المقياس : النظرية النسقية العربية**

 **المستوى : السنة أولى ماستر تخصص لسانيات عربية**

**محتوى البرنامج :**

**المحاضرة الأولى : مفهوم النظم ، النسق ، التأليف ، التعليق**

**المحاضرة الثانية** : **مفهوم النظم في الدراسات اللغوية البلاغية**

**المحاضرة الثالثة : نظرية النظم والإعجاز القرآني**

**المحاضرة الرابعة : نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني**

**المحاضرة الخامسة : نسبتها إلى عبد القاهر الجرجاني**

**المحاضرة السادسة : الآراء المنكرة للنسبة**

**المحاضرة السابعة : النظم بين البلاغة والنحو**

**المحاضرة الثامنة : الدلالة والسياق**

**المحاضرة التاسعة : نظرية النظم وأثرها في الدرس النحوي**

**المحاضرة العاشرة : أثر نظرية النظم في المحدثين من النحاة**

**المحاضرة الحادي عشر : أهم الإنتقادات الموجهة لها**

**أستاذ المادة : حمزة السعيد**

**المقياس : النظرية النسقية العربية**

**الأهداف :**

**المعارف المسبقة :**

 **المحاضرة الأولى :**

 **مفهوم النظم التأليف التعلق النسق**

 تعد نظرية النظم من أهم اجازات النقد العربي القديم، وقبل أت تكون نظرية لها أسسها وقواعدها، فقد مرت عبر مراحل مختلفة شهدت دراسات ومحاولات فردية بلاغية ونقدية ولغوية، إلى أن وصلت مرحلة النضج وارتقاء على يد عبد القاهر الجرجاني الذي استفاد ولا شك من جهود سابقيه مؤسسا نظرية النظم من خلال كتابيه "دلائل الاعجاز" وأسرار البلاغة".

**مفهوم النظم:**

**لغة:**

 جاء في معجم العين للخليل: نظم: النظم نظمك خرزا بعضه إلى بعض في نظام واحد، وهو في كل شيء حتى قيل: ليس لأمره نظام أي تستقيم طريقته، والنظام كل خيط ينظم به لؤلؤ أو غيره فهو نظام".[[1]](#footnote-1)

 وفي لسان العرب: "نظم، النظم: التأليف نظمه ينظمه نظما ونظمه فانتظم وتنظم، نظمت اللؤلؤ أي جمعته في السلك، والتنظيم مثله قرنته بآخر أو ضممت بعضه إلى بعض فقد نظمته … والنظام كل ما نظمت فيه الشيء من خيط وغيره وكل شعبة منه وأصل نظام، ونظام كل امر ملاكه، والجمع أنظمة وأناظيم ونظم".[[2]](#footnote-2)

 يتضح من خلال هذين التعريفين أن المفهوم اللغوي للنظم هو جمع الأشياء وضمها وفق نسق خاضع للنظام والترتيب .

**اصطلاحا:**

 يعرفه الشريف الجرجاني بأنه " تأليف الكلمات والجمل مرتبة المعاني متناسبة الدلالات على حسب مايقتضيه العقل ، وقيل الألفاظ المرتبة المسوقة المعبرة دلالتها على مايقتضيه العدد " [[3]](#footnote-3) ويعرفه الجرجاني قائلا: "واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله وتعرف مناهجه التي نهجت، فلا تزيغ عنها"[[4]](#footnote-4) ومعنى هذا أن النظم هو تركيب الكلام في نسق لغوي قائم على ضم الكلمات إلى بعضها وفق قواعد النحو وقوانينه المعروفة. إن النظم في جوهره هو النحو في أحكامه وبعبارة أخرى فالنظم ليس إلا تمثيلا لقواعد النحو من خلال بنية الجملة.

**التأليف:**

 يختار المتكلم عدة كلمات ليؤلف بها جملة مفيدة متبعا قواعد النحو الصحيحة المتعارف عليها، وبذلك يصبح التأليف طريقة المتكلم أو أسلوبه في نظم الكلام، علما أن النظم يتحكم فيه عنصرا الاختيار والتأليف، يقول أحمد درويش "الاختيار يتمثل في إيثار عنصر على آخر والتأليف يتمثل في طريقة توزيع هذه العناصر داخل الجملة ووضع كل عنصر في المكان الذي يخدم قضية البناء الفني المحكم للعبارة".[[5]](#footnote-5)

 إن وضع الكلمات داخل الجملة والتأليف بين عناصرها يكون من خلال إقامة العلاقات النحوية التي يوفرها قانون اللغة والنحو "يراد بالتأليف وضع كل كلمة في مكانها المناسب من العبارة وفقا لمعناها النحوي، فوضع الكلمة في موضع الابتداء غير وضعها في مكان الإخبار، ومجيء الخبر نفسه في موضعه مؤخرا غير مجيئه في غير موضعه مقدما، وكذلك المبتدأ أو المفعول، قد يناسب أحيانا أن يأتي بعد الفعل والفاعل، وقد يناسب أن يتوسطهما أو يتقدمهما … وفي كل حالة من الحالات يقف وراء التأليف معنى نفسي يكمن وراء اختيار الشكل النحوي المناسب للعبارة".[[6]](#footnote-6)

يفهم من هذا أن التأليف لا بد من نحو يعضده ويجعله نسقا لغويا خاضعا إلى نظام نحوي ما والنحو لا بد له من كلمات يؤلفها لابد إذن من وجود عنصر التنسيق والتأليف بين المواد الخام للبناء حتى يتم له الشكل الفني، وإذا نحن حاولنا أن ننظر إلى الأساس الذي يقام عليه التأليف "في نظرية النظم" فسنجد هذا الأساس، هو الأساس النحوي أيضا.[[7]](#footnote-7) مع الإشارة إلى أن التأليف يكون على مستوى الكلمات لإنشاء الجملة، ويكون على مستوى الجمل باستعمال أدوات الربط بينها.

**النسق:**

 النون والسين والقاف يدل على تتابع الشيء وكلام نسق جاء على نظام واحد، قد عطف بعضه على بعض، وأصله قولهم ثغر نسق إذا كانت الأسنان متناسقة، وخرز نسق: منظم[[8]](#footnote-8). والنسق من كل شيء، ما كان على طريقة نظام واحد عام في الأشياء، النحويون يسمعونه حروف العطف حروف النسق، لأن الشيء إذا عطفت عليه شيئا بعده جرى مجرى واحدا، وثغر نسق إذا كانت الأسنان متساوية ونسق الأسنان: انتظامها في النبتة وحسن تركيبها والتنسيق التنظيم، النسق ما جاء من الكلام على نظام: رأيت نسقا من الرجال والمتاع أي بعضها إلى جنب بعضها. [[9]](#footnote-9)

يفهم من خلال التعريفين أن معاني "نسق" في اللغة تحوم حول المعاني التالية: النظام، التتابع، الترتيب، التناسق، الجمع وكلها ذات علاقة وطيدة مع المعنى الاصطلاحي.

 فالنسق اصطلاحا هو مجموعة من الوحدات والوظائف مثل النسق اللساني ونسق الموضة،[[10]](#footnote-10) شريطة أن تكون هذه الوحدات مترابطة "النسق مكون مكن مجموعة من العناصر الأجزاء التي يترابط بعضها ببعض مع وجود مميز أو مميزات بين كل عنصر وآخر"[[11]](#footnote-11). وترابط تلك العناصر وتفاعلها دليل على تناسقها "النسق عبارة عن عناصر مترابطة متفاعلة متمايزة".[[12]](#footnote-12)

يرتبط النسق إذا بتأليف الجملة أو الجمل، والتأليف يكون بين عناصر تترابط وتتفاعل بينها من خلال التركيب النحوي وما يتضمنه من قواعد نحوية لابد من مراعاتها، وبالتالي فالنسق مرادف للنظم.

**التعليق:**

 يدل معنى الفعل علق على التشبث والتمسك والالتصاق كما في قولنا علق السمك بالشبكة، وعلق الشوك بثوبه، وعلق الطفل بأمه، كما تقول: علق إعلانا على الحائط بمعنى وضعه عليه وألصقه.

 وفي الاصطلاح هو العلاقات النحوية بين الكلمات والارتباطات القائمة بينها معنويا مثل تعليق المبتدأ بالخبر وتعلق الاسم بالفعل مثل الفعل والفاعل أو المفعول به، وتعلق الحرف بهما، أو لفظيا مثل العلاقة الاعرابية، الرتبة.

 **المحاضرة الثانية :**

 **مفهوم النظم في الدراسات اللغوية البلاغية:**

 أشار كثير من الدارسين إلى النظم، وذلك من خلال حديثهم عن الكلام وتحليله ودراسة الجملة ، وما يحدث فيها من تقديم وتأخير أو حذف أو ذكر أو فصل أو حل، وفيما يلي ذكر لمن بحث أو ألف فيه، وهو إحصاء شامل مرتب ترتيبا زمنيا يشير إلى بذور هذه الفكرة عند النحاة والبلاغين ومؤلفي كتب الاعجاز. [[13]](#footnote-13)

1. أبو محمد عبد الله بن المقفع (ت142ه) يمثل أقدم من أشارت إليه الكتب العربية، يقول عن صياغة الكلام: "فإذا خرج الناس من أن يكون لهم عمل أصيل وأن يقولا قولا بديعا، فليعلم الواصفون المخبرون -أن أحدهم وإن أحسن وأبلغ- ليس زائدا على أن يكون كصاحب فصوص وجد ياقوتا وزبرجدا ومرجانا فنظمه قلائد وسموطا وأكاليل، ووضع كل فص موضعه، وجمع إلى كل لون شبهه وما يزيد بذلك حسنا فسمى بذلك صائغا رقيقا، وكصياغة الذهب والفضة صنعوا منها ما يعجب الناس من الحلي والآنية".[[14]](#footnote-14)

 شبه إذا ابن المقفع النظم بحبات اللؤلؤ التي يضعها الصائغ منظمة واضعا كل لون في مكانه المناسب، والأمر نفسه بالنسبة إلى الكلام فمتى كانت الكلمات في موضعها مرتبة منتظمة كان الكلام مستحسنا من الناس لنظمه ونسقه .

2. عمرو بن عثمان بن قنبر الملقب بسيبويه (ت 180ه) لم يشر إلى مصطلح النظم، إلا أنه تحدث عن استقامة الكلام وحسنه من خلال تأليف العبارة يقول "هذا باب الاستقامة من الكلام والاحالة: فمنه مستقيم حسن، ومحال ومستقيم كذب، ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب، ف/ا المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أحسن وسآتيك إذا، اما المحال فأن تنتقد أول كلامك بآخره فتقول: أتيتك غدا وسآتيك أمس، وأما المستقيم الكذب فقولك: حملت الجبل وشربت ماء البحر ونحوه، وأما المستقيم القبيح فأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك: قد زيدا رأيت، وكي زيدا يأتيك، وأشباه هذا. وأما المحال الكذب فأن تقول: سوف أشرب ماء البحر أمس"[[15]](#footnote-15)

 يبين سيبويه من خلال حديثه عن مستويات الكلام أن اللغة نظام " حيث تندمج في توائم حميم قوانين النحو مع قوانين الدلالة ،أو بعبارة أخرى قوانين المعنى النحوي الأولي وتمثله الوظائف النحوية المختلفة مع قوانين دلالة المفردات الأولية وتمثلها الدلالة المعجمية للكلمة [[16]](#footnote-16)

 ومن الموضوعات التي تحدث عنها سيبويه والتي تندرج ضمن نظم الكلام التقديم والتأخير يقول: "وزعم الخليل -رحمه الله- أنه يستقبح أن يقول: قائم زيد، ذلك إذا لم تجعل قائما مقدما مبنيا على المبتدأ، كما تؤخر وتقدم فتقول: ضرب زيد عمرو، وعمرو على ضرب مرتفع، وكان الحد فيه ان يكون مقدما وهذا عربي جيد، وذلك قولك: تميمي أنا ومشنوء من يشنؤك وجل عبد الله، وخز صفتك".[[17]](#footnote-17)

 ويفهم من هذا أن الكلام إذا لم يكن مبنيا على أصول النحو وقواعده ومراعاة ما يقتضيه المقام، فإنه يؤدي إلى اللبس أو إلى المحال، ومن هنا فإن اختيار الكلمات لا يكون عشوائيا حسب هوى المتكلم، بل يكون خاضعا للنظام اللغوي وما يضمنه من قوانين ومناهج . [[18]](#footnote-18) نحوية تجعل تركيبا لغويا ما يتصف بالانتظام والنسقية من عدمها .

 ويجب الإشارة في هذا السياق أن التقديم والتأخير موضوع مشترك بين النحو والبلاغة أشار فيه سيبويه إلى أنه يأتي لأغراض بلاغية للعناية والاهتمام، أو للتأكيد، كما يأتي لأغراض غير بلاغية[[19]](#footnote-19).

3. بشر بن المعتمر (ت 210ه) جاء في صحيفته ما يشير إلى النظم عندما قال: "فإذا وجدت اللفظة لم تقع موقعها ولم تصل إلى قرارها، وإلى حقها من أماكنها المقسومة لها، والقافية، لم تحل في مركزها وفي نصابها، ولم تتصل بشكلها، كانت قلقة في مكانها نافرة من موضعها فلا تكرهها على اغتصاب الأماكن والنزول في غير أوطانها".[[20]](#footnote-20)

 إن اختيار موقع اللفظة ومناسبتها لبقية الكلمات إشارة ضمنية إلى إئتلاف الكلمات ونظمها أو نسق الكلام . ولو أن بشرا لم يذكر أهمية النحو في تأسيس النظم .

4. كلثوم بن عمرو العتابي (ت 220ه) جعل ثنائية الألفاظ للمعاني مثل الأجساد للأرواح وأن وضع اللفظ للمعنى المناسب "الألفاظ أجساد والمعاني أرواح، وإنما تراها بعيون القلوب، فإذا قدمت منها مؤخرا أو أخرت منها مقدما أفسدت الصورة وغيرت المعنى، كما لو حول رأس إلى موضع يد، أو يد إلى موضع رجل، لتحولت الخلقة وتغيرت الحلية".[[21]](#footnote-21) فمراعاة ترتيب الألفاظ هو الذي يحقق النظم بدليل أن أي تغير في ترتيبها يؤدي إلى الإخلال في نظم الكلام، أو تشويهه.

5أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري (ت 395ه) تحدث عن النظم في كتابه "الصناعتين حين عقد بابا في البيان عن رداءة التأليف وحسن التأليف أو جودة الرصف والسبك وخلاف ذلك قائلا " "وحسن التأليف يزيد المعنى وضوحا وشرحا، ومع سوء التأليف ورداءة الرصف والتركيب شعبة من التعمية".[[22]](#footnote-22)

 وفي سياق آخر يؤكد أن عدم اختيار الألفاظ المناسبة وسوء تموقعها في التركيب يؤديان إلى الاخلال بالنظم، "…أن يكون لفظك شريفا عذبا، وفخما سهلا، مركزها، ولم تتصل بسلكها، وكانت قلقة في موضعها نافرة عن مكانها، فلا تكرهها على اغتصاب الماكن، والنزول في غير أوطانها… وينبغي أن ترتب الألفاظ ترتيبا صحيحا فنقدم منها ما يحسن تقديمه ونؤخر منها ما يحسن تأخيره".[[23]](#footnote-23)

 إن القول بترتيب الألفاظ ومناسبتها لبعضها بوضعها في أماكنها، وحسن تقديمها أو تأخيرها تمثل إشارة ضمنية إلى بعض قضايا النظم دون أن يصرح أبو هلال بالمصطلح .

 المحاضرة الثالثة :

 **مفهوم النظم والاعجاز القرآني:**

 في العصر العباسي وفي زمن المعتصم ظهرت فتنة خلق القرآن على يد وزيره أحمد بن أبي داود (سنة 220ه) وكان الرد عليه وبيان إعجاز القرآن الكريم، هو القول بالصرفة؛ أي أن الله "صرف الهمم عن المعارضة، وإن كانت مقدورا عليها وغير معجوز عنها، إلا أن العائق من حيث كان أمرا خارجا عن مجاري العادات، صار كسائر المعجزات".[[24]](#footnote-24) أو القول بصرف أنظار العرب وعجزهم عن الإتيان بما يشبه القرآن في أسلوبه وتركيبه اللغوي وهو ماذهب إليه ابراهيم النظام

 يقول مصطفى صادق الرافعي "فذهب شيطان المتكلمين أبو إسحاق إبراهيم النظام إلى أن الاعجاز كان بالصرفة، وهي أن الله صرف العرب عن معارضة القرآن مع قدرتهم عليها، فكان هذا الصرف خارقا للعادة".قلنا وكأنه من هذا القبيل هو المعجزة لا القرآن".[[25]](#footnote-25) وإضافة إلى الصرفة يرى النظام أن الاعجاز يكمن في الاخبار عن المور الماضية والآتية.

 إن القول بالصرفة إذ يهمل سر جمال الخطاب القرآني وروعة بيانه، وفصاحة ألفاظه، ولذلك كان الرأي السائد لدى العلماء -في سياق الرد على مذهب الصرفة- أن القرآن لم يعجز العرب إلا لأنهم غير قادرين على الاتيان بمثله أسلوبا وبيانا، فاتجه البحث إلى دراسة النص القرآني في ذاته.[[26]](#footnote-26) يقول عبد الحميد هنداوي مبينا بطلان مذهب الصرفة "فمنها أنه يلزم من القول بذلك أن الاتيان بمثل كلام الله هو في مقدور البشر واستطاعتهم لو خلي بينهم وبين معارضته لولا صرف الله تعالى لهم، وفي هذا من البطلان ما فيه من إبطال وجه من أهم وجوه إعجاز القرآن بلا داع، ومن القول بإمكان مشابهة كلام المخلوق لكلام الخالق الذي هو صفة له، كما يلزم من ذلك أيضا القول بعجزه سبحانه أن يأتي بكلام معجز، لأنه على لازم كلامهم قد عجز عن أن يكون كلامه معجزا بنفسه، فأعجز الناس قهرا عن محاولة مشابهته ومعارضته".[[27]](#footnote-27)

 ولهذا السبب تحركت همم العلماء للبحث في وجوه إعجاز القرآن، وكان الوجه الذي حضي باهتمام كبير هو نظمه العجيب وأسلوبه الفريد، وبالتالي فإن الكتب التي ألفت في إعجاز القرآن كان لها أثرا بالغا في تطور فكرة النظم، بدليل أن البلاغيين استثمروا نظرية النظم وهم يدرسون بلاغة القرآن الكريم في أصغر صوره التركيبية إلى أعظمها.[[28]](#footnote-28)

 عمرو بن بحر بن محبوب الكنائي الملقب بالجاحظ يعد الجاحظ المعزلي أول من استعمل مصطلح النظم يقول مصطفى صادق الرافعي "فصنف أديبنا الجاحظ المتوفي سنة 255ه كتابه (نظم القرآن) وهو فيما ارتقى إليه بحثنا أول كتاب، أفرد لبعض القول في الاعجاز أو فيما يهيء القول فيه".[[29]](#footnote-29) وهذا الكتاب مفقود لكن عنوانه يدل على محتواه والغاية التي ألف من اجلها يقول الجاحظ "ولي كتاب جمعت فيه آيات من القرآن الكريم، لتعرف بها فضل ما بين الايجاز والحذف، وبين الزوائد والفضول والاستعارات".[[30]](#footnote-30)

 يهدف الجاحظ من خلال حديثه عن النظم إلى الرد على أستاذه النظام وأنصاره القائلين بالصرفة الذين أنكروا أن يكون القرآن معجزا بنظمه، وعلى أصحاب المعاني الذين قالوا إن جمال الشعر يمكن في معانيه مبررا أهمية القيم الفنية المتمثلة في جمال الصياغة والتلاؤم اللفظي والانسجام الصوتي والبديع في نظم الكلام. [[31]](#footnote-31)

 يحدد الجاحظ النظم في الشعر قائلا "أجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء، سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه أفرغ إفراغا جيدا، وسبك سبكا واحدا، فهو يجري على اللسان كما يجري في الدهان".[[32]](#footnote-32) مؤكدا بذلك على تأليف العبارة وجودة تلاحم ألفاظها وسبكها وإخراجها في قالب واحد في تناسق وانسجام.

 إذا كان النظم عند الجاحظ يقوم على ضم الكلمات وتخير مواقعها وليس ضم المعاني، فإنه من أنصار اللفظ "والمعاني مطروحة في الطريق يعرفها العجمي والعربي والبدوي والمدني، إنما الشأن في إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك فإن الشعر صناعة (أو صياغة) وضرب من النسج، وجنس من التصوير".[[33]](#footnote-33) إن اختيار الكلمات وجودة سبكها وتلاحمها في التركيب اللغوي هو المعيار الذي حدد به الجاحظ النظم .

 وعلى الرغم من دفاعه عن سبك الألفاظ وإعلاء شأنها فإنه لم يهمل المعنى إذ جعل اللفظ والمعنى في مقابل الجسد والروح ان اللفظ للمعنى بدن، والمعنى للفظ روح. [[34]](#footnote-34) أي أنهما ثنائية لا تقبل الفصل فهل هناك بدن بدون روح وهل هناك لفظ دون معنى؟ الإجابة حتما تكون لا وبالتالي فاللفظ والمعنى ثنائية لا تقبل الفصل.

 يمكن القول أن الجاحظ أول من مهد لقضية اللفظ والمعنى وأبرز معالمها على الرغم من تناول سابقيه لها حيث قام بلم شتات الجهود السابقة وأضفى عليها لمسته في إشارته إلى النظم.

 محمد بن يزيد الواسطي 306ه يقول الرافعي: "أول كتاب وضع لشرح الاعجاز وبسط القول فيه على طريقتهم في التأليف، إنما هو فيما نعلم كتاب (إعجاز القرآن) لأبي عبد الله محمد بن يزيد الواسطي المتوفي سنة 306ه ولا نضن الواسطي بني إلا على ابتدأه الجاحظ، كما بنى عبد القاهر في (دلائل الاعجاز على الواسطي)". [[35]](#footnote-35)

 أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (ت 386ه) هو أحد أشهر من تناول النظم والاعجاز في القرن الرابع الهجري وقد سماه التأليف في رسالته "النكت في إعجاز القرآن" يقول "دلالة الأسماء والصفات متناهية، أما دلالة التأليف فليس لها نهاية، كما أن الممكن من العدد ليس له نهاية يقف عندها".[[36]](#footnote-36) فبعدد نهائي من الكلمات نؤلف عددا لا نهائيا من التأليفات (نظم الجمل).

 ومعنى هذا أن الإبداعية تكمن في النظم لا الألفاظ وتحدث في الرسالة السابقة عن وجوه الاعجاز حيث يرى أن البلاغة ثلاث طبقات: عليا ودنيا ووسطى، وجعل الطبقة العليا هي بلاغة القرآن، والطبقة الوسطى خصصها بطبقة البلغاء والفصحاء، والطبقة الدنيا وهي دون تلك الطبقات، والأهم في هذا التقسيم هو عنايته باللفظ والمعنى، والعلاقة القائمة بينهما عند حديثه عن التلاؤم بين اللفظ والمعنى المراد به حسن النظم.[[37]](#footnote-37)

 النظم عند الرماني قائم على التلاؤم ،وهو وصف استلهمه من كلام الجاحظ عندما تحدث تنافر الحروف والكلمات ومايجب أن يكون عليه النظم من تلاحم حتى يبدو وكأنه سبك سبكا واحدا [[38]](#footnote-38)

 أبو سليمان حمد بن محمد الخطابي: (ت 388ه) رد في رسالته "بيان إعجاز القرآن" على القائلين بالصرفة، "إنما يقوم الكلام بهذه الأشياء الثلاثة" لفظ حامل، ومعنى به قائم ورباط لهما ناظم وإذا تأملت القرآن وجدت هذه المور منه في غاية الشرف والفضيلة، حتى لا ترى شيئا من الألفاظ أفصح ولا أجزل ولا أعذب من ألفاظه، لا ترى نظما أحسن تأليفا وأشد تلاؤما وتشاكلا من نظمه"[[39]](#footnote-39). إن فصاحة ألفاظ القرآن وحسن نظمه وتأليف تراكيبه اللغوية على نسق معين هي التي كانت وراء إعجازه وليس الصرفة كما زعم النظام

 وبالإضافة إلى الألفاظ والمعاني تحدث الخطابي عما سماه رسوم النظم عندما ما قال: "أما رسوم النظم فالحاجة إلى الثقافة والحذق فيها أكثر، أنها لجام الألفاظ وزمام المعاني، به تنتظم أجزاء الكلام، ويلتئم بعضه ببعض فتقوم له صورة في النفس يتشكل بها البيان".[[40]](#footnote-40) فثقافة المتكلم ومهارته تجعلانه يتحكم في زمام الألفاظ ومعانيها بحيث يؤلف نظما تلتحم ألفاظه وتتناسق .

 من خلال ما سبق يتضح أم جميع العلماء الذين دافعوا عن أهمية الألفاظ في النظم هم من المعتزلة، وقد جاءت اقوالهم متطابقة مع عقيدتهم المقدسة للألفاظ بعد القرآن كلام الله المخلوق، وقد أعجز الله به البشر من خلال نظمه أو نسيج تراكيبه اللغوية البليغة.

 أبو بكر الباقلاني: (ت 403ه): يعد من أشهر من ألف في الاعجاز في القرن الخامس وهو أشعري يشترك مع عبد القاهر الجرجاني في مر>حلة التأسيس والدفاع عن الفكر الأشعري حيث قاد معركة لغوية من أجل تأسيس نظرية أشعرية في قضية البيان وإعجاز القرآن. [[41]](#footnote-41) يقول عنه شوقي ضيف: "وهو من أعلام المتكلمين على مذهب الأشاعرة، وله مصنفات كثيرة ومجادلات مع علماء الروم، عنت لها جهود معاصريه، وكان لسنا بارعا في الجدل والاحتجاج، ومن البحاث التي عني بها مبحث الاعجاز في القرآن".[[42]](#footnote-42)

 يرى الباقلاني أن الاعجاز في القرآن الكريم يكمن في نظمه الذي يخالف ما هو شائع في كلام العرب: "فأما شأو نظم القرآن فليس له مثال يحتذى عليه … وقد تأملنا نظم القرآن، فوجدنا جميع ما يتصرف فيه من الوجوه التي قدمنا ذكرها على حد واحد في حسن النظم، وبديع التأليف والرصف… وليس الاعجاز في نفس الحروف، وإنما هو في نظمها وإحكام رصفها وكونها على وزن ما أتى به النبي (صلى الله عليه وسلم)، وليس نظمها أكثر من وجودها متقدمة ومتأخرة ومترتبة في الوجود، وليس لها نظم سواها".[[43]](#footnote-43)

فرصف الكلمات والتأليف بينها وترتيبها على نسق معين هو النظم، يقول الباقلاني في قوله تعالى: "وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الكِتَاب ولا الاِيمَان وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ صِرَاط اللهِ الذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلَا إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُور" ]الشورى: 52، 53[ "فانظر إن شئت إلى شريف هذا النظم، وبديع هذا التأليف وعظيم هذا الرصف، كل كلمة في هذه الآية تامة، وكل لفظ بديع واقع".[[44]](#footnote-44)

وهو متأثر بفكرة الجاحظ التي ذهب فيها إلى أن الاعجاز في القرآن يعود إلى نظمه وأسلوبه العجيب الذي يخالف أساليب العرب في الشعر والنثر وما تتضمنه من أسجاع، كما تأثر بفكرة الرماني عندما جعل القرآن وحده في الطبقة العليا.[[45]](#footnote-45)

وحتى المعاني والكلمات المتباعدة تكون مؤتلفة بفعل النظم "وكما قال الباقلاني في أية القصص: "وَابْتَغِ فِيمَا أَتَاكَ اللهُ الدّار الآخِرَة ولَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وأحْسِن كَمَا أَحْسَنَ الله إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ الفَسَاد فِي الأَرْضِ إنَّ اللهَ لَا يُحِبُّ المُفْسِدِين" ]القصص: 77[ قال هي خمس كلمات متباعدة في المواقع، نائية المطارح قد جعلها النظم البديع أشد تألقا من الشيء المؤتلف الأصل، وأحسن توافقا من المتطابق في أول الوضع".[[46]](#footnote-46)

يفهم من هذه القوال أن الباقلاني يميل في تبيان إعجاز بلاغة النظم القرآني إلى اللفظ؛ بتخير الألفاظ المؤتلفة المرتبة على نسق محكم بصياغتها وروعة تأليفها وجدير بالإشارة في هذا السياق أن الباقلاني في دراسته للإعجاز القرآني نحى منحى يختلف عن سابقيه يقول محمد محمد أبو موسى "والذي أغراني بالقول بأن الباقلاني يضع لبنات أساسية لدراسة الاعجاز البلاغي ويراها بديلة لبلاغة البديع التي قال بها من سبقوه ومن عاشوا معه كالرماني هو تعليقه على قوله تعالى في سورة الأنعام "فالق الاصباح وجعل الليل سكنا والشمس والقمر حسبانا ذلك تقدير العزيز العليم" ]الأنعام: 96[ قال انظر إلى هذه الكلمات الأربع التي ألف بينها واحتج بها على ظهور قدرته، ونفاذ أمره، أليس كل كلمة منها في نفسها غرة؟ وبمنفردها درة؟ … ويجمع السلاسة إلى الرصانة، والسلامة إلى المتانة … ولست أوقل إنه شمل الأطباق المليح، والايجاز اللطيف، والتعديل والتمثيل … وإن كان قد جمع ذلك وأكثر منه لأن العجيب ما بينا من انفراد كل كلمة بنفسها حتى تصلح أن تكون عين رسالة، أو خطبة، أو وجه قصيدة، أوفقرة، فإذا ألفت ازدادت به حسنا وإحسانا، وزادتك إذا تأملت معرفة وإيمانا".[[47]](#footnote-47)

إن الباقلاني لايختلف عن ماسبقوه في تفسير النظم ، فهو يعلي من شأن الألفاظ ويجعل إئتلافها كفيل بجعل الكلام يتصف بالنظم .

 القاضي عبد الجبار الأسد أباذي (ت 410ه) هو قاضي قضاة الدولة البويهية بإيران، وأكبر أعلام المعتزلة في عصره له مصنفات كثير أشهرها كتاب المغني في أبواب التوحيد والعدل"، وقد خصص الجزء السادس عشر لبحث مسألة الاعجاز القرآني ودلالة القرآن على نبوة الرسول وأن مرتبته الرفيعة في البلاغة تخرجه عن العادة كما جعل فصلين قصيرين لموضوع البلاغة أولهما عرض فيه رأي أستاذه أبي هاشم الجبائي في الفصاحة وعقب عليه، وعرض في الثاني رأيه الخاص في فصاحة الكلام".[[48]](#footnote-48)

بالنسبة للتعقيب على أبي هاشم الجبائي الذي اعتبر الفصاحة في اللفظ، قال شيخنا أبو هاشم: "إنما سكون الكلام فصيحا لجزالة لفظه وحسن معناه، ولابد من اعتبار الأمرين".[[49]](#footnote-49) فإن عبد الجبار أحس أن في فكرة أستاذه نقصا لأنه أغفل صورة تركيب الكلام وهي أساسية في بلاغة العبارة[[50]](#footnote-50) قول "اعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، ولا بد مع الضم من ان يكون لكل كلمة صفة، وقد يجوز في هذه الصفة أن تكون بالمواضعة التي تتناول الضم، وقد تكون بالإعراب الذي له مدخل فيه، وقد تكون بالموقع … ولذلك نجد المعبرين عن المعنى الواحد يكون أحدهما أفصح من الآخر والمعنى متفق … على انا نعلم أن المعاني لا يقع فيها تزايد، فإذن يجب أن يكون الذي يعتبر التزايد عنده الألفاظ التي يعبر بها عنها. فإذا صحت هذه الجملة فالذي تظهر به المزية ليس إلا الابدال (الاختيار) الذي به تختص الكلمات أو التقدم والتأخر الذي يختص الموقع أو الحركات التي تختص الاعراب فبذلك تقع المبيانة (بين الكلام)". [[51]](#footnote-51)

وعلى ضوء هذا القول فالفصاحة يحددها طريقة نظم الألفاظ في تركيب معين بدليل أن الألفاظ ذاتها تفقد فصاحتها في تعبير آخر، ولا تحددها الألفاظ المفردة المعزولة عن سياق استعمالها أو المعاني. وبعبارة أخرى فالفصاحة تتجلى في النظم وقد سماه الضم على طريقة مخصوصة تمثل الأسلوب البليغ أو طريقة أداء التعبير التي تقوم على اختيار مواقع الكلمات ومراعاة ترتيبها ومختلف التراكيب النحوية اليت يجب معرفتها واتباعها.

فالنظم إذا هو الذي يعلي شأن الكلمة ودونه تبقى الكلمة لا قيمة لها "ولا يمتنع في اللفظة الواحدة أن تكون إذا استعملت في غيره … وهذا يبين أن المعتبر في المزية ليس بنية اللفظ وأن المعتبر فيها ما ذكرناه من الوجوه"[[52]](#footnote-52)

المتعلقة بالتركيب لأن ما قبل الكلمة وما بعدها يؤثران في فصاحتها وإظهار قيمتها "العبرة بمكان الكلمة من النظم وارتباطها بما يجاورها من الكلمات"[[53]](#footnote-53)

وبناء على هذه الأهمية فإن النظم (الضم) هو المجال الذي تتحدد به مراتب الابداع وتتفاوت فيه القدرات الفنية يقول عبد الجبار: "إن جملة الكلمات وإن كانت محصورة، فتأليفها يقع على طرائق مختلفة، فتختلف لذلك مراتبه في الفصاحة، وما هذا حاله فالتحدي فيه، لأن فيه مقادير معتادة تصبح فيها زيادات في الرتب غير معتادة".[[54]](#footnote-54) فرغم قلة الألفاظ ومحدوديتها إلا أن النظم يوفر إمكانية تأليف تعابير كثيرة غير محدودة مختلفة في طرائق صياغتها ومراتبها.

يمكن القول أن القاضي عبد الجبار دافع عن فصاحة اللفظة في ضوء ضمها ونظمها مع كلمات أخرى من خلال موقعها وطريقة أداء الكلام وما تتضمنه من علاقات نحوية وتراكيب لغوية وهي القضايا التي مهّدت السبيل لعبد القاهر الجرجاني الذي فصل، الحديث عنها وهو يؤسس نظرية النظم في دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة.

 المحاضرة الرابعة :

 **نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني:**

قلنا سابقا ان الجاحظ هو أول من وضع مصطلح النظم عندما علل به إعجاز القرآن الكريم وتمسك به الأشاعرة، وراح المعتزلة منذ أبي هاشم الجبائي يضعون مكانه مصطلح الفصاحة التي ردوها إلى حسن اللفظ والمعنى.

وفسر القاضي عبد الجبار فصاحة القرآن بأنها تقود إلى الأداء والصياغة النحوية للتعبير (بضم الكلمات إلى بعضها).

وكان ذلك شعاعا مضيئا ألهم عبد القاهر الجرجاني تفسيره للنظم مستمدا من عبد الجبار دون أن يشير إلى ذلك، المر الذي يجعل القارىء يعتمد أن عبد القاهر هو أول من قال أن الاعجاز في القرآن يعود إلى تراكيب الكلام وصياغته وخصائصه التعبيرية.[[55]](#footnote-55) وبعبارة أخرى الاعجاز يكمن في النظم.

إن النظم في جوهره هو النحو في أحكامه، الناظم يراعي أثناء كلامه قوانين النحو وقواعده المختلفة، كالتقديم والتأخير، والحذف، والتعريف والتنكير، والفصل والوصل، ومعرفته لهذه القواعد وعدم الاخلال بها شرط أساسي لصحة النظم قول عبد القاهر: "اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو وتعمل على قوانينه وأوصله وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها وتحفظ الرسوم التي رسمت لك فلا تخل بشيء منها وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه".[[56]](#footnote-56)

ويؤكد أن النظم هو النحو عندما يقول: "إذا كان لا يكون النظم شيئا غير توخي معاني النحو وأحكامه فيما بين الكلم، كان من أعجب العجب أن يزعم زاعم أنه يطلب المزية في النظم، ثم لا يطلبها في معاني النحو وأحكامه التي ….. النظم عبارة عن توخيها فيما بين الكلم".[[57]](#footnote-57)

وعلى هذا الأساس فالمعايير النحوية هي التي تفصل بين النظم الصحيح والفاسد منه " هذا هو السبيل فلست بواجد شيئا يرجع صوابه إن كان صوابا وخطؤه إن كان خطأ إلى النظم ، ويدخل تحت هذا الإسم إلا وهو معنى من معاني النحو قد اصيب به موضعه ووضع في حقه " [[58]](#footnote-58) . وكل تفاضل في قواعد النحو يجعل النظم أفضل بلاغة وجمالا " فلا ترى كلاما قد وصف بصحة نظم أو فساده ، أو وصف بمزية وفضل فيه إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه "[[59]](#footnote-59)

 ومن الأمثلة التي ذكر الجرجاني أن فساد النظم يعود إلى عدم توخي معاني النحو قول الفرزدق ]من … [

**وما مثله في الناس إلا مملكا أبو أمه حي أبوه يقاربه**

يقول محمد محمد أبو موسى معلقا على رداءة النظم في هذا البيت: "الفرزدق هنا أقام البيت على صورة لم يصر على تشكيلها التشكيل الكلي الذي يحسن ترتيبها وتنسيقها وإنما رمى بها وهي أشكال معان جزئية، وأنت محتاج إلى أن تعيد نظامها كما تعيد نظام الحروف المتقطعة أو كما تجمع أجزاء متناثرة من صورة تريد أن تضبط تمامها، وكمالها وجمالها، لا بد لك أن تنقل كلمة (حي) وتضعها بإزاء كلمة (الناس)، ثم تنقل (يقاربه) بإزاء (حي)، فيكون الكلام وما مثله في الناس حي يقاربه إلا مملكا أبو أمه أبوه".[[60]](#footnote-60)

ومثل لصحة النظم واستقامته بسبب توخي معاني النحو بأبيات للبحتري

**هو المرء أبدت له الحادثا ت عزما وشيكا ورأيا صليبا**

**تنقل في خلقي سودد سماحا مرجى وبأسا مهيبا**

**فكا للسيف إن جئته صارحا وكالبحر إن جئته مستثنيا**

وحسن النظم فيها يعود إلى قواعد النحو التي اتبعها الشاعر وأهمها التقديم والتأخير في قوله (هو المرء أبدت له الحادثات) فلو قال مثلا: "المرء أبدت، أو أبدت الحادثات للمرء لكان النظم رديئا، كما أن تنكير كلمة (سودد) وإضافة الخلقين لها أسهما في حسن النظم".[[61]](#footnote-61)

ويستدل على أهمية النظم عندما يبين أن جمال الصورة البيانية وروعتها يعود إلى التركيب النحوي قائلا: "الاستعارة والكناية والتمثيل، وسائر ضروب المجاز من بعدها من مقتضيات النظم، وعنها يحدث وبها يكون، لأنه لا يتصور أن يدخل شيء منها في الكلم، وهي أفراد لم يتوخ فيما بينها حكم من أحكام النحو، فلا يتصور أن يكون ههنا فعل أو اسم قد دخلته الاستعارة من دون أن يكون قد ألف مع غيره".[[62]](#footnote-62)

 مستشهدا بالآية الكريمة "**واشتعل الرأس شيبا"** ]مريم:4 [ والتي يعتقد الناس فيها أن الشرف فيها يكمن في الاستعارة والحقيقة ليست كذلك لأننا قلبنا العبارة لتصبح واشتعل شيب الرأس لذهب ما فيها من روعة، مع أن الاستعارة لم تزل قائمة، فلم يبق إذا إلا أن تكون الروعة تكمن في العبارة من خلال اسناد فعل الاشتعال إلى الرأس، والمجيء بالشيب الذي له الفعل منصوبا، علما أن هذا التعبير يشحنها بدلالات لم تكن ممكنة لو أسند الاشتعال إلى الرأس يفيد بالإضافة إلى لمعان الشيب في الرأس الشمول والشيوع، ومن حسن النظم تعريف الرأس بالألف واللام وإفادة معنى الإضافة من غير إضاءة، ول صرح بالإضافة فقيل واشتعل رأسي لذهب كثير من حسنها. [[63]](#footnote-63)

إن نظرية النظم عند الجرجاني تقوم على التركيب النجوى La syntaxe في الكلام العادي او الفني البليغ، لذلك ما لبث يصرح باستحالة الاستغناء عن قواعد النحو في تأليف الكلام "… ذاك لأننا قد علمنا علم ضرورة أنا لو بقينا الدهر الأطول نصعد ونصوب، ونبحث وننقب، نبتغي كلمة قد اتصلت بصاحبة لها، ولفظة قد انتظمت مع أختها، من غير أن نتوخى فيما بينهما معنى من معاني النحو، طلبنا ممتنعا".[[64]](#footnote-64)

وهو ما جعل الجرجاني يدافع عن النحو ويدعو الناس إلى تعلمه "وأمازدهم في النحو واحتقارهم له وإصغارهم أمره وتهاونهم به فصنيعهم في ذلك … أشبه بأن يكون صدا عن كتاب لله وعن معرفة معانيه".[[65]](#footnote-65)

**أسس نظرية النظم:**

نعني بأسس نظرية النظم أو أركان النظم أسس نظم الكلام، أي: ما هي المراحل التي تمر بها عملية إنتاج الكلام؟ والتي لا يمكن للكائن البشري الاستغناء عنها في صناعة الكلام وإنتاجه.

**ترتيب المعاني في النفس:**

تحدث عبد القاهر عن ترتيب المعاني في النفس كثيرا، وعده عنصرا أساسيا في عملية النظم، فهو يرى أن المتكلم إذا فرغ من نظم المعاني في النفس أولا فإن الألفاظ تترتب في النطق ثانيا يقول في دلائل الاعجاز "فإذا وجب لمعنى أن يكون أولا في النفس، وجب للفظ الدال عليه أن يكون مثله في النطق، فأما أن تتصور في الألفاظ أن تكون المقصودة قبل المعاني بالنظم والترتيب، وأن يكون الفكر في النظم الذي يتواصفه البلغاء فكرا في نظم الألفاظ، أو أن تحتاج بعد المعاني إلى فكر تستأنفه لأن تجري بالألفاظ على نسقها فباطل من الظن".[[66]](#footnote-66)

إن القول بترتيب المعاني قبل الألفاظ جاء ردا على المعتزلة وعلى رأسهم الجاحظ وعبد الجبار القائلين بأن النظم هو نظم الألفاظ "ودليل آخر وهو أنه لو كان القصد بالنظم إلى اللفظ نفسه دون أن يكون الغرض ترتيب المعاني في النفس، ثم النطق بالألفاظ على حذوهاـ لكان ينبغي ألا يختلف حال اثنين في العلم بحسن النظم، أو غير الحسن فيه لأنهما يحسان بتوالي الألفاظ في النطق إحساسا واحدا، ولا يعرف أحدهما في ذلك شيئا يجهله الآخر".[[67]](#footnote-67)

وأشار إلى الترتيب نفسه في أسرار البلاغة عندما قال "والألفاظ لا تفيد حتى تؤلف ضربا خاصا من التأليف، ويعمد بها إلى وجه دون وجه من التركيب والترتيب".[[68]](#footnote-68) ثم "ذكر أن هذا الترتيب والتركيب إنما وقع في الألفاظ على وفق المعاني المرتبة في النفس والمنتظمة فيها على قضية العقل، يعني أن هذا النسق اللفظي هو صورة لنسق وراءه عقل انتظمه وأن بناء الكلام هو بناء فكر، وعقل وأن ناطقية الانسان هي عقله وليست لسانه، وما دام هذا هو جوهر الكلام فيجب أن تقرأه من الجهة التي يقرأ منها وأن تتحسس فيه حركة العقل ونسق العقل، وأن ترى به، وفيه صفحة النفس التي صاغته لأن النسق اللفظي جسم صوت يجب أن تتجاوزه بعد إحكامه إلى ما وراءه من نسق فكري، وأن كل شيء في اللغة وراءه شيء في العقل، والنفس، حتى النغمة، والتوقيعة الصوتية، هي جرس نفس ولحن عقل وفكر، لا يجوز أبدا أن نتعامل مع الكلام شعرا أو بيانا على أنه شقشقة لسان لأن هذا إهذار لحقيقته، ولا بد من أن نتعدى اللفظ والجرس إلى ما يناجي فيه العقل النفس".[[69]](#footnote-69)

يوضح محمد أبو موسى ترتيب المعاني النحوية في النفس أو العقل ثم ترتيب الألفاظ على النسق النحوي ويمثل لذلك قائلا: "… وهي أننا عند التحقيق لا نرى صحة ما يقال من وجوب تقديم بعض الألفاظ على بعض كقولنا إن الخبر واجب التقديم في مواضع كذا وأن المفعول واجب التقديم في مواضع كذا، وأن الصفة يجب أن تتقدم على الموصوف، وأن الاستفهام له الصدارة، لأن ليس هناك حكم من هذه الأحكام يتعلق بلفظ من حيث هو لفظ، لأن الألفاظ في ذاتها ليس فيها ما يوجب تقديمها، أو تأخيرها، أو حذفها أو ذكرها، وإنما كل ذلك راجع إلى مقتضيات عقلية، أوجبت ترتيب المعاني في النفس، وانتضمت على قضية العقل، فما وجب تقديمه في العقل قدم في اللفظ، وما وجب تأخيره في العقل آخر في اللفظ، فالاقتضاءات العقلية هي الفصل وهي القانون وهي القاعدة".[[70]](#footnote-70)

إذا المعاني المرتبة في النفس ليست المعنى الذي هو قسيم اللفظ، ولا المعنى القاموسي، أو الدلالي الذي يشمل عليه اللفظ، وإنما هو المعادل الذهني للمعاني النحوية[[71]](#footnote-71) يقول أحمد حسن صبرة "ولا يقصد عبد القاهر من المعاني العامة العامة للكلام، أو المعاني العجمية لألفاظ اللغة، وإنما يعني المعنى النحوي الذي يكتسبه اللفظ في السياق والعلاقات الناشئة بين الكلمات في السياق (التأليف)" [[72]](#footnote-72). علما أن المعاني النحوية ليست المعنى الخام، وإنما المعنى الخاص المصور الذي تشكل في النفس ونظم فيها نظما خاصا[[73]](#footnote-73) والذي يوفر للمتكلم إمكانية التميز في أسلوب تعبيره والاختلاف عن غيره في طريقة نظم الكلام.

**التعلق النحوي:**

 يرى محمد أحمد نحلة أن التعلق النحوي هو الأساس الثاني الذي تقوم عليه نظرية النظم حيث "قادته فكرة ترتيب الألفاظ حسب ترتيب المعاني في النفس إلى فكرة أخرى، تعد فيما نرى الركن الثاني من أركان نظريته، وهي فكرة التعلق النحوي".[[74]](#footnote-74) القائم على وضع الكلمات بجواز بعضها وفق علاقات نحوية يقول عبد القاهر: "واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك، أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، وتجعل هذا بسبب من تلك، هذا ما لا يجعله عاقل ولا يخفى على أحد من الناس".[[75]](#footnote-75) إن المعاني المرتبة في النفس يعضدها التعالق النحوي، وبدونه لا نظم ولا ترتيب للمعاني يحصلان .

يشرح الجرجاني التعلق النحوي قائلا "وإذا نظرنا في ذلك علمنا ان لا محصول لها غير أنت تعمد إلى اسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعول، أو تعمد إلى اسمين فتجعل أحدهما خبرا عن الآخر، أو تتبع الاسم اسما على أن يكون الثاني صفة للأول، أو تأكيدا له، أو بدلا منه، أو تجيء باسم بعد تمام كلامك على أن يكون الثاني صفة أو حالا أو تمييزا، أو تتوخى في كلام هو لإثبات معنى أن يصير نفيا، أو استفهاما أو تمنيا، فتدخل عليه هذه الحروف الموضوعة لذلك، أو تريد في فعلين أن تجعل أحدهما شرطا في الآخر، فتجيء بهما بعد الحرف الموضوع لهذا المعنى، أو بعد اسم من الأسماء التي ضمنت معنى ذلك الحرف وعلى هذا القياس".[[76]](#footnote-76) مقسما إياه إلى ثلاثة أقسام

1. تعلق اسم باسم بأن يكون خبرا أو حالا أو صفة أو بدلا أو تمييزا أو مضافا.

2. تعلق اسم بفعل كأن يكون فاعلا أو مفعولا بأنواعه أو خبرا لكان أو حالا أو تمييزا.

3. تعلق الحرف بهما

ويتضح من هذا التقسيم استحالة تعلق فعل مع فعل أو حرف مع آخر.

إن التعلق بين الكلمات بضمها إلى بعضها هو العملية الاسنادية للمعاني النحوية المرتبة في النفس وهو شرط ضروري لحصول النظم . ومن هنا كانت الكلمات المفردة دون إسنادها نحويا إلى غيرها خارج دائرة النظم " فلا يتصور أن يتعلق الفكر بمعاني الكلم أفرادا ومجردة من معاني النحو، فلا يقوم في وهم، ولا يصح في عقل أن يتفكر مفكر في معنى (فعل) من غير أن يريد إعماله في (اسم) ولا أن يتفكر في معنى (اسم) من غير أن يريد إعمال (فعل) فيه وجعله فاعلا أو مفعولا، أو يريد منه حكما سوى ذلك من الأحكام، مثل أن يريد جعله مبتدأ أو خبرا أو صفة أو حالا، أو ما شاكل ذلك".[[77]](#footnote-77)

ويجب الإشارة في هذا السياق أن التعلق عند الجرجاني له مستويات: مستوى يقف عند الصواب ومستوى يرقى إلى بلاغة الخطاب "فإذا قلت أفليس هو كلاما قد أطرد على الصواب وسلم من العيب"؟

أفما يكون في كثرة الصواب فضيلة؟ قيل أما الصواب كما ترى فلا لأنا لسنا في ذكر تقويم اللسان، والتحرر من اللحن، وزيغ الاعراب فنعتد بمثل هذا الصواب، وإنما نحن في أمور تدرك بالفكر اللطيف، ودقائق يوصل إليها بثاقب الفهم، فليس درك صوب دركا فيما نحن فيه حتى يشرف موضعه، ويصعب الوصول إليه، وكذلك لا يكون ترك خطأ تركا حتى يحتاج في التحفظ منه إلى لطف نظر وفضل رؤية وقوة ذهن وشدة تيقظ".[[78]](#footnote-78)

يعلق عبد الحميد أحمد يوسف هنداوي عن هذين المستويين قائلا: "والحقيقة أن عبد القاهر يفرق في كلامه بين نوعين من الصواب في الكلام والمعاني، الأول ما يمكن أن نصطلح على تشميته بالصواب النمطي أو الصواب النحوي، والتالي هو ما حقق ذلك الصواب وزاد عليه بحسن الصياغة، وهذا الثاني هو الجدير بأن يستدرك في نظر الجرجاني وفي نظر البلاغيين قاطبة كذلك".[[79]](#footnote-79)

وعليه فالمستوى الثاني هو المستوى الفني البلاغي الراقي وما يقع فيه من عدول أو مجاز يكونان مضبوطين بقواعد نحوية.

**تخير الموقع:**

يقرر عبد القاهر أن اللفظة المفردة لا فصاحة لها ولا مزية حتى تضم إلى أخواتها في تأليف دقيق وعلى نحو مخصوص، ولأن التعلق ركن أساسي في نظرية النظم، فإنه يجب أن يراعي موقع الكلمة من بين أخواتها؛ أي لكل مكان لفظه المناسب، بحيث لو حول ذلك اللفظ من مكانه، أو أزيل عنه اختل النسق اللغوي وذهب رونق النظم وجماله "وإذا كان هذا كذلك فينبغي أن ينظر إلى الكلمة قبل دخولها في التأليف، وقبل أن تصير إلى الصورة التي يكون بها الكلم إخبارا وأمرا ونهيا واستخبارا وتعجبا، وتؤدي في الجملة معنى من المعاني التي لا سبيل إليها إلا بضم كلمة إلى كلمة … وهل يقع في وهم أحدهم –وإن جهد- أن تتفاضل المفردات من غير أن ينظر إلى مكان تقعان فيه من التأليف والنظم بأكثر من أن هذه مألوفة مستعملة وتلك غريبة وحشية؟ …وهل تجد أن أحدا يقول: هذه اللفظة فصيحة إلا وهو يعتبر مكانها من النظم وحسن ملاءمة معناها لمعاني جاراتها، وفضل مؤ….. لأخواتها".[[80]](#footnote-80)

إن الكلمة المفردة لا قيمة لها، ولا يمكن إدراك جمالها وفصاحتها إلا من خلال موقعها في النسق التركيبي وتناسق معناها ليتلاءم مع معاني ما يسبقها وما يأتي بعدها من كلمات "قد اتضح اتضاحا لا يدع للشك مجالا أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث هي ألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك مما لا تعلق له بصريح اللفظ، ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ثم تراها بعينها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر"[[81]](#footnote-81) لأن موقعها ومعناها لا يناسبان غيرها من الكلمات.

ويؤكد على صحة هذه الفكرة والدليل على ذلك أنك تجد الرجلين يستعملان نفس الكلمة، فترى أحدهما قد أحسن اختيار الموقع وحسن النسق فبلغ سماء الفصاحة، في حين أن الآخر وصل إلى الحضيض "… فإنك تجد متى شئت الرجلين قد استملا ………. بأعيانها، ثم ترى هذا قد فرع السماء، وترى ذاك قد لصق بالحضيض، فلو كانت الكلمة حسنت، حسنت من حيث هي لفظ، واذا استحقت المزية والشرف استحقت ذلك في ذاتها وعلى انفرادها، دون أن يكون السبب في ذلك حال لها مع أخواتها المجاورة لها في النظم، لما اختلف بها الحال، ولكانت إما تحسن أبدا أو لا تحسن أبدا، ولم تر قولا يضطرب على قائله حتى لا يدري كيف يعبر، وكيف يورد ويصدر كهذا القول".[[82]](#footnote-82)

ويضرب مثالا لأهمية تخير الموقع قائلا: "ومما يشهد لذلك أنك ترى الكلمة تروقك وتؤنسك في موضع ثم تراها بيعنها تثقل عليك وتوحشك في موضع آخر، كلفظة الأخدع في بيت الحماسة. [[83]](#footnote-83)

**تلفت نحو الحي حتى وجدتني وجعت الاصغاء ليتا وأخدعا**

وبيت البحتري

**وإني وإن بلغتني شرف الغنى واعتقت من رق المطامع أخدعى**

فإن لها في هذين المكانين ما لا يخفى من الحسن، ثم أنك تتأملها في بيت أبي تمام:

**يا دهر قوم من أخدعيك فقد أضججت هذا الأنام من خرقك**

فتجد لها من الثقل على النفس، والتنغيص، والتنكير، أضعاف ما وجدت هناك من الروح والخفة والايناس والبهجة".[[84]](#footnote-84)

يتضح إذا أن معيار اختيار موقع الكلمة في النظم يقوم على ملاءمة معناها لمعاني الكلمات الأخرى حتى يرتقي النسق اللغوي لجملة ما إلى درجة عالية من البلاغة.

**معاني النحو:**

 تحدث عنه صالح بلعيد ضمن الأركان العامة لنظرية النظم[[85]](#footnote-85) وذكره محمود أحمد نحلة فقال "وهو الركن الرابع والأخير من أركان نظرية النظم عند عبد القاهر الجرجاني، وقد عني عبد القاهر بهذا الركن عناية بالغة لأنه ثمرة النظم ومصوله".[[86]](#footnote-86) وسمته …. حميد البياتي الوجوه والفروق وجعلته الركن الرابع من أركان هذه النظرية.

يشرح الجرجاني الوجوه النحوية وفروقها التي يجب على الناظم معرفتها لأنها توفر له إمكانية توظيفها في بنية النظم بوصفه تمثيلا للأنساق النحوية والمعاني النحوية "وذلك أنا لا نعلم شيئا يبتغيه الناظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كل باب وفروقه، فينظر في الخبر إلى الوجوه التي تراها في قولك: إن تخرج أخرج، وإن خرجت خرجت، وإن تخرج فأنا خارج، وأنا خارج إن خرجت، وأنا إن خرجت خارج… فلا ترى كلاما قد وصف بصفة نظم أو فساده، أو وصف بمزية وفضل نية إلا وأنت تجد مرجع تلك الصحة وذلك الفساد، وتلك المزية وذلك الفضل إلى معاني النحو وأحكامه".[[87]](#footnote-87)

يتضح بما لا يدع مجالا للشك أن حسن النظم آت من جودة التصرف في قواعد النحو، وأن رداءته إنما تأتي من سوء التصرف فيه "وإن أردت أن ترى ذلك عيانا فاعمد إلى أي كلام شئت وأزل أجزاءه عن مواضعها وضعها وضعا يمتنع معه دخول شيء من معاني النحو فيها، فقل في (قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل) (من نبك قفا حبيب ذكرى منزل) ثم انظر هل يتعلق منك فكر بمعنى كلمة منها؟ واعلم أني لست أقول: إن الفكر لا يتعلق بمعاني الكلم المفردة أصلا، ولكني أقول: إنه لا يتلق بها مجردة من معاني النحو، ومنطوقا بها على وجه لا يتأتي معه تقدير معاني النحو وتوخيها فيها، كالذي أريتك".[[88]](#footnote-88)

يمكن القول من خلال هذه الأسس أن نظرية النظم الجرجانية نحوية بامتياز تقوم على المقدرة ( الكفاءة ) النحوية التي يجب ان يمتلكها المتكلم ليس من أجل إستقامة النظم العادي وصحته بل في تفاضل الأنساق اللغوية وتفاوت حسنها وبلاغتها ، ولذلك كان إهتمام الجرجاني منصبا على النحو النسقي الذي يعالج تركيب الجملة بدلا من الحركة الإعرابية على آخر الكلمة .

 المحاضرة الخامسة :

 **نسبة نظرية النظم إلى عبد القاهر الجرجاني**

إن الحديث عن نسبة نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني يقتضي البحث عن نسبة كتاب دلائل الاعجاز له، ذلك أن مضمون النظرية وأسسها متجليات في الدلائل. أقول هذا الكلام لأن الكتب القديمة المصنفة ضمن المصادر كلها خضعت للتحقيق في إطار تحقيق المخطوطات بإثبات الكتاب وصحة عنوانه ونسبة إلى صاحبه، ومن هنا بات إثبات نظرية النظم ونسبها للجرجاني أمر لا بد منه في هذا السياق، من خلال عرض بعض آراء الدراسين وأقواله التي تؤكد أن النظرية من إبداع عبد القاهر.

تواترت أقوال العلماء في أن كتاب دلائل الاعجاز هو للإمام عبد القاهر الجرجاني، وقد صحح متنه إمامان من أئمة اللغة وآدابها وهما الشيخ محمد عبده الذي استحضر نسخة من المدينة المنورة وأخرى من بغداد ليقابلها على النسخة التي عنده والشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي وعلق عليه الامام الشيخ محمد رشيد رضا، …. "وذكرت ثمة أنني لما هاجرت إلى مصر لإنشاء مجلة المنار الإسلامي في سنة 1315، وجدت الأستاذ الامام الشيخ محمد عبده رئيس جمعية إحياء العلوم العربية، ومفتي الديار المصرية، مشتغلا بتصحيح الكتاب … وأريد الآن: أنه قد عني بتصحيحه أتم عناية وأشرك معه فيها إمام اللغة وآدابها في هذا العصر (الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي)، وناهيك بكتاب اجتمع على تصحيح أصله علامتا المعقول المنقول".[[89]](#footnote-89)

ذكر زكي مبارك في ترجمته لأبي الحسن الجرجاني أنه كان شيخا لعبد القاهر الجرجاني قائلا: "ويكفي في تقدير فضله أن تشير إلى أنه أستاذ عبد القاهر الجرجاني صاحب أسرار البلاغة ودلائل الاعجاز"[[90]](#footnote-90) ثم علق في الحاشية على هذا الكلام هكذا يقول ياقوت الحموي في معجم البلدان ص249 ولكنه يقول في ص 3، ج7: إن عبد القاهر ليس له أستاذ سوى محمد بن الحسين ابن أ…. أبي علي الفارسي وكذلك قال في بغية الوعاة".[[91]](#footnote-91)

ويرى عبد العزيز عتيق انه عندما ظهر اللحن والخطأ في الإعراب، وضع أهل الاختصاص قوانين النحو، ومما وقع اللحن في الأساليب والتعابير وضع المختصون قوانين البيان والمعاني وذلك ذلك مما أشفق منه عبد القاهر على اللغة فعكف على تأليف "دلائل الاعجاز" و "أسرار البلاغة" الذين دون فيهما علم البلاغة ووضع قوانين البيان والمعاني، كما وضعت قوانين النحو عند ظهور الخطأ في الاعراب.

الخطأ في الإعراب[[92]](#footnote-92)

ويؤكد على أبو زقية أن نظرية النظم من إنتاج الجرجاني "إنه بالتأكيد لم يتناول في كتابه هذا –كما قد يتصور- أدلة الاعجاز الكلامية والمنطقية، التي كان من شأن المتكلمين والمناطقة أن يتناولها، ولكنه عنى فإعجاز القرآن من زاوية تخصصه اللساني والأسلوبي، فأوضح لنا أن إتقان تأليف جمل الكلام وتراكيبه والتفنن في نظمها وحسن صياغتها، هو طريق البلاغة والاعجاز".[[93]](#footnote-93)

يرى مؤلفو الأسلوبية والبيان العربي أن دلائل الاعجاز خصصه صاحبه للحديث عن النظم من أوله إلى آخره تنظيرا وتطبيقا "ومن ثم جعل الكتاب من أوله إلى آخره خاصا بقضية النظم، وبالتطبيق النقدي عليها، لأن معرفة هذه القضية مقدمة لمعرفة أسرار الاعجاز فيه".[[94]](#footnote-94)

ويصرح سيد قطب أن الجرجاني أول من قام بتأسيس نظرية النظم وأدخلها في حقل النظريات اللغوية، وأنه أول ناقد عربي قرر نظرية النظم "قد وصل في كتابه الأول إلى تقرير نظرية هو أول من قررها في تاريخ النقد العربي ويصح أن نسميها نظرية النظم وخلاصتها أن ترتيب المعاني في الذهن هو الذي يقتضي ترتيب الألفاظ في العبارة، وأن اللفظ لا مزية له في ذاته، وإنما مزيته في تناسق معناه مع معنى اللفظ الذي يجاوره في النظم".[[95]](#footnote-95)

والتصريح ذاته من محمد عبد المطلب يؤكد صحة نسبة نظرية النظم للجرجاني "لقد انتهى عبد القاهر من خلال عرضه لنظريته إلى أن ركز مناط الجودة في الكلام للصورة التي يرسمها النظم، بما يقوم عليه من معاني النحو المتخيرة، والصورة التي تشكلت في نفس المتكلم بأصباغ العلاقات بين معاني الكلام التي رتبت في النفس ترتيبا خاضعا لهذه العلاقات".[[96]](#footnote-96)

وعليه فنظرية النظم لصاحبها الجرجاني دون شك ، إلا ان هذا الأخير استثمر جهود سابقيه المشتتة دون تنظير ، فانطلق منها وتعمق فيها واضاف لمسته العلمية عليها معلنا ميلاد نظرية إسمها نظرية النظم التي فرضت نفسها في حقل الدراسات النقدية واللسانية .

 المحاضرة السادسة :

**الآراء المنكرة للنسبة:**

 لا يختلف اثنان أن نظرية النظم تنسب لصاحبها عبد القاهر الجرجاني، ولم نسمع يوما ولم نقرأ في كتاب نسبتها إلى غيره، يتفق الدارسون جلهم أن النظم ظهر قبل الجرجاني، وأن الأخير استفاد من جهوده غيره من العلماء في بناء نظرية نسقية عربية لها أسسها ومبادؤها، ومعنى هذا أنهم ينكرون أن تكون النظرية إبداعا خالصا من الجرجاني، وانه في حقيقة الأمر قام بإثرائها من خلال التمكن من التنظير لها وتطبيقها على اللغة العربية.

 يقول رياض هلال "استقر بين العلماء والأدباء ليس ابن خلدون، بل الامام عبد القاهر الجرجاني هو مؤسس البلاغة العربية، وأول من أقام عمدها … وسن لها رسوما وقوانين تعرج عليها"[[97]](#footnote-97). ويقول السيد يحي بن حمزة الحسيني "وأول من أسس من هذا الفن قواعده وأوضح براهينه، وأظهر فوائده، ورتب أفانيه، الشيخ العالم علم المحققين عبد القاهر الجرجاني".[[98]](#footnote-98)

 ويرد عليهم محمد عبد المنعم خفاجي نافيا أن يكون عبد القاهر هو مبتكر نظرية النظم ومؤسسها الحقيقي قائلا: "ولكنا نسائلهم هل ابتكر عبد القاهر كل هذه المباحث ابتكارا، وارتجالا فهو ابن بجدتها وأبو عذرها؟" وإنا لنعفيهم من الإجابة فنقول إن عبد القاهر وجد لمن سبقه من العلماء والأدباء بحوثا وآراء في البيان العربي متفرقات في أثناء ككتب النقد والأدب، فعمد إليها ولمّ شملها وجمع شتاتها، وضم الإلف إلى أليفه، والنسيب إلى نسيبه، فكان له من كل ذلك مجموعة ضمّنها كتابيه: أسرار البلاغة، ودلائل الاعجاز، وهو تارة يقر بالفضل لأربابه فيصرح بأسمائهم، وتارة يغفلهم ويضرب عنهم صفحا، فيضن بعض الناس أن المبحث من بنات أفكاره وكد ذهنه وعرق جبينه، ولو عملوا لرجعوا كل شيء إلى أربابه، وأقروا الأمر في نصابه"[[99]](#footnote-99). والدليل على ذلك أنه كثيرا ما اعترف بفضل سيبويه والجاحظ عليه، ولم يشر إلى تأثره بالقاضي عبد الجبار رغم ان الكثير من مفاهيم النظم –ويسميه الضم- قد تناولها.

 فقد نقل الجرجاني عن سيبويه سحر بلاغة التقديم والتأخير وبعضا من شواهد الحذف، واستدل بكلامه على أن "إنما" تأتي لخبر لا يجهله المخاطب.

 ونقل عن ابن قتيبة كلمة دون أن يشير إليه عندما قال أن الشعر ما حسن لفظه ومعناه، ومنه ما حسن لفظه فقط، أو معناه فقط وهي في مقدمة الشعر والشعراء لابن قتيبة، ويتجلى روح الجاحظ في اعتبار فضيلة الكلام لنظمه لا لفظه وأن السجع ما طلبه المعنى دون تكلف، وأن الكلام ما كان معناه أسرع إلى قلبك، كما أن الكثير من شواهد عبد القاهر ماخوذة من البيان والتبيين.[[100]](#footnote-100) يقول محمد محمد أبو موسى: أشير إلى الصلة القوية بين علم عبد القاهر بكتاب سيبويه، ولم أعراف أحدا حلل تراث الجاحظ البلاغي كما حلله عبد القاهر، وكان في كثير من كتابيه كأنه يعمد عمدا إلى شرح كلام الجاحظ، وأهم من هذا وأكثر إثارة أنه كان يشرح الجاحظ مستظيئا بعلم الخليل وسيبويه، وهذا أمر غريب ولم يتكرر، ولم ينبه إليه أحد، وهو ظاهر كفلق الصبح"[[101]](#footnote-101).

 وإذا جئنا إلى القاضي عبد الجبار فإن نظريته في تفسير الفصاحة سماها الضم، ويرد الفصاحة إلى حسن تنسيق الكلمات في التركيب، وهي تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصهن ولا بد مع الضم أن يكون لكل كلمة صفة قد تكون بالمواضعة ويقصد به اختيار الكلمة من بنية معينة ومادة لغوية معينة فاختيار صيغ المبالغة غير اختيار اسم الفاعل في تحديد حجم الحدث، واختيار الماضي غير المضارع أو الأمر في الزمن والمعنى، وقد تكون بالإعراب وهو عند عبد الجبار أعمق من مجرد الرفع والنصب والجر؛ إنه الوظائف النحوية للكلمات كالفاعلية والمفعولية والحالية والظرفية، وقد تكون بالموقعية من خلال التقديم والتأخير أي أ، الكلمة لا مزية لها ولا فصاحة إلا في التركيب وهذا ما أشار إليه الجرجاني.[[102]](#footnote-102) الذي لم يكتشف النظم وإنما طوره بناء على جهود غيره وجعله يرتقي إلى مستوى النظرية إن الإضافات التي قدمها لا ينكرها أحد، يقول محمد عبد المنعم خفاجي "ولسنا ننكر أن عبد القاهر قد ابتكر في البيان العربي وارتجل في أبحاثه، كما لا نجحد أنه فصل بعض ما أجمله العلماء قبله، وشرح بعض ما قالوه، ونوع الأمثلة وأتى بأمداد من الشعر والنثر متوافرة، ولكنا ننكر أن يكون هو مؤسس فن البلاغة برغم ما يقوله صاحب الطراز، وعبد القاهر نفسه بأنه أفاد ممن تقدمه ممن كتبوا في البلاغة والفصاحة"[[103]](#footnote-103) ويؤكد بدوي طبانة أن عبد القاهر لم يخترع النظم، وإنما بسط النظرية، إذ سبقه الواسطي المتكلم صاحب كتاب إعجاز القرآن، وظهرت بوضوح في الصراع الذي اثاره امتزاج الثقافات إذ تعصب الذين دافعوا عن الفلسفة اليونانية والذين انتسبوا للعربية دفاعا عن تراثهم وثقافتهم النحوية، ولو أن كتاب الواسطي مفقود وليس حجة على ذلك، وتعصب المثقفين للثقافات المترجمة ودفاعهم علماء العربية عن لغتهم كل ذلك لا يشبه نظرية النظم عند الجرجاني. [[104]](#footnote-104) ويذهب محمد عبد المنعم خفاجي إلى الرأي نفسه "وعلى أي حال فإننا لا نذهب إلى أن رد البلاغة والاعجاز إلى النظم هو الجديد عند عبد القاهر ولكن الجديد عنده هو شرحه لنظرية النظم هذا الشرح الجديد حقا، وتطبيقه عليها، هذه التطبيقات النقدية البيانية الواسعة، وفرق على أية حال بين أية نظرية في استبانتها، وبينها في قمة ازدهارها"[[105]](#footnote-105).

وينكر عبد القاهر حسين أن يكون الجرجاني مخترعا لنظرية النظم، ولكنه لم يجحد فضله المتمثل في جمع إشارات السابقين في نظرية احتوت البلاغة كلها في النظم: "وإذا أصبح من الثابت أن عبد القاهر لم يبتكر نظرية النظم بمعنى أنه خلقها من العدم، فإنها تنسب إليه بفضل تطبيقها على كثير من أبواب البلاغة التي تدخل في علم المعاني، أو البيان، أو البديع، ولم يكن يكتفي بتلك الإشارات العابرة الدالة على القصد، كما فعل السابقون، ولكنه خلق من هذه الإشارات نظرية بلاغية كبرى احتوت البلاغة كلها حتى أصبحت تصب في النظم، ولا يغض من قيمة عبد القاهر في نظرية النظم، ا، هذه النظرية قد طرقها المتقدمون، فالابتكار ليس في حقيقته استخلاص الموجود من المعدوم، بل يكون من التأليف بين أشياء استقرت لنستخرج منها شيئا لم يستقر ولم يولد بعد".[[106]](#footnote-106)

وبين أن الابداع لا يكون من العدم، فكل النظريات ينطلق فيها أصحابها من آراء غيرهم، "فإذا كان القصد بأن عبد القاهر قد انتفع بجهود السابقين في نظريته، أو انهم كانوا أشعة أضاءت له الطريق، فهذا أمر لا يتطرق إليه الشك، فما من نظرية تقوم على فراغ، أو تبنى على هواء، أو تخلق من العدم والانتفاع بآراء السابقين لا يصح أن يكون موضع طعن لأصحاب النظريات الجديدة، أما إذا كان المراد بأن عبد القاهر قد تأثر بهم تأثرا واضحا، فهذا لا يمكن قبوله لمجرد أننا ألفينا أشياء لا تعد وأن تكون شبحا ضئيلا لم تتحدد معالمه، أو تتضح قسماته".[[107]](#footnote-107)

1. - الخليل بن احمد الفراهيدي، كتاب العين، تح مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ج8 مؤسسة الأعلمى للمطبوعات، بيروت، لنان، ط1، 1988، ص165. [↑](#footnote-ref-1)
2. - ابن منظور، لسان العربـ تح: عامر أحمد حيدر، ج12، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2003، ص686. [↑](#footnote-ref-2)
3. التعريفات ، مكتبة لبنان ، بيروت ، 1985 ، ص 261 . [↑](#footnote-ref-3)
4. - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز،تقديم علي أبو زقية ،موفم للنشر ،1991، ص24. [↑](#footnote-ref-4)
5. - أحمد درويش، دراسة السلوب بين المعاصرة والتراث، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، دط، دت، ص113. [↑](#footnote-ref-5)
6. - المرجع نفسه، ص170. [↑](#footnote-ref-6)
7. - المرجع نفسه، ص166. [↑](#footnote-ref-7)
8. - أحمد ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، كتاب النون، مادة (نسق)، ج5، ص420. [↑](#footnote-ref-8)
9. - ابن منظور، لسان العرب، طبعة دار المعارف، القاهرة، ج2، مادة نسق، ص4412. [↑](#footnote-ref-9)
10. - barthes, système de la mode, ed seuil, paris, 1967, p169 نقلا عن: أحمد يوسف القراءة النسقية منشورات الاختلاق، الجرزائر، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ط1، 2007، ص133 [↑](#footnote-ref-10)
11. - محمد مفتاح، التشابه والاختلاف، نحو منهجية شمولية، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1996، ص158. [↑](#footnote-ref-11)
12. - المرجع نفسه ، ص 158 . [↑](#footnote-ref-12)
13. - حاتم صالح الضامن، نظرية النظم تاريخ وتطور، دار الحرية للطباعة، بغداد (د، ط) 1979، ص06. [↑](#footnote-ref-13)
14. - المرجع نفسه، ص06. [↑](#footnote-ref-14)
15. - أبو بشير عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه، الكتاب، تح: عبد السلام محمد هارون، ج1، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، ط2، 1977، ص ص25-26. [↑](#footnote-ref-15)
16. محمد حماسة عبد اللطيف ، النحو والدلالة مدخل لدراسة النحو الدلالي ، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، 2006 ،ص 81. [↑](#footnote-ref-16)
17. - سيبويه، الكتاب ،ج1، ص127. [↑](#footnote-ref-17)
18. - صالح بلعيد، نظرية النظم، دار هومة، بوزريعة، الجزائر، 2004، ص96. [↑](#footnote-ref-18)
19. سبويه ، الكتاب ، تحقيق محمد عبد السلام هارون ، ج1، مكتبة الخانجي ، ط3، القاهرة ، 1996، ص 34 [↑](#footnote-ref-19)
20. - حاتم صالح الضامن، نظرية النظم تاريخ وتطور، ص09. [↑](#footnote-ref-20)
21. - أبو هلال الحسن بن عبد الله العسكري، الصناعتين الكتابة والشعر، تح: مفيد قحيمة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1989، ص179. [↑](#footnote-ref-21)
22. أبو هلال العسكري ، الصناعتين ، تحقيق وظبط مفيد قحيمة ، دار الكتب العلمية، بيروت ، ط1،ص161. [↑](#footnote-ref-22)
23. - المصدر نفسه، ص ص152. [↑](#footnote-ref-23)
24. - الخطابي حمد بن محمد، بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلق الله ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط4، (دت) ص22. [↑](#footnote-ref-24)
25. - مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 2000، ص102. [↑](#footnote-ref-25)
26. - مسعود بودوخة، نظرية النظم أصولها وتطبيقاتها، البدر الساطع للطباعة والنشر، العلمة، سطيف، ط1، 2016، ص8. [↑](#footnote-ref-26)
27. - الاعجاز الصوتي في القرآن الكريم، دار الثقافة للنشر، ط1، 2004، ص10. [↑](#footnote-ref-27)
28. - محمد بوادي، التفكير الدلالي عند البلاغيين العرب الأوائل، مجلة العلوم الاجتماعية، جامعة سطيف، العدد20، جوان 2015، ص93. [↑](#footnote-ref-28)
29. - مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص1074. [↑](#footnote-ref-29)
30. - الجاحظ، الحيوان، شرح وتحقيق يحي الشامي، القاهرة، ط2، 1990، ص86. [↑](#footnote-ref-30)
31. - أحمد أبو زيدن مقدمة في الأصول الفكرية للبلاغة وإعجاز القرآن، دار الأمان، الرباط، المغرب، ص53. [↑](#footnote-ref-31)
32. - الجاحظ، البيان والتبيين، تح وش: عبد السلام هارون، ج1، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، مصر، ط2، 1965، ص67. [↑](#footnote-ref-32)
33. - الجاحظ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام هارون ، ج3، شركة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ،مصر ، ط2، 1965،ص ص 131،132. [↑](#footnote-ref-33)
34. - محمد بن عبد الغني المصري، نظرية أبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ في النقد الدبي، دار مجدلاوي، عمان، الأردن، ط1، 1987، ص84. [↑](#footnote-ref-34)
35. - مصطفى صادق الرافعي، إعجاز القرآن والبلاغة النبوية، ص107. [↑](#footnote-ref-35)
36. - علي بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز، تحقيق: محمد خلف الله، ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، القاهرة، ط4، (دت) ص107. [↑](#footnote-ref-36)
37. - وليد محمد مراد، نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القادر الجرجاني، دار الفكر دمشق، ط1، 1983، ص26. [↑](#footnote-ref-37)
38. شوقي ضيف ، البلاغة تطور وتاريخ ،دار المعارف بمصر ،ط3،د ت ، ص 105. [↑](#footnote-ref-38)
39. - الخطابي، بيان إعجاز القرآن ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، تح: محمد خلق الله أحمد ومحمد زغلول سلام، دار المعارف، مصر، ط3، 1976، ص27. [↑](#footnote-ref-39)
40. - المصدر السابق، ص27. [↑](#footnote-ref-40)
41. - أحمد أبوزيد، مقدمة في الأصول الفكرية للبلاغة وإعجاز القرآن، ص84. [↑](#footnote-ref-41)
42. - شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص107 وإعجاز القرآن، ص84. [↑](#footnote-ref-42)
43. - الباقلاني، إعجاز القرآن، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان، 1973، ص112. [↑](#footnote-ref-43)
44. - المصدر السابق، ص187. [↑](#footnote-ref-44)
45. - شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص ص108، 109. [↑](#footnote-ref-45)
46. - محمد محمد أو موسى، مراجعات في أصول الدرس البلاغي، مكتبة وهبة، عابدين، القاهرة، مصر، ط1، 2005، ص256. [↑](#footnote-ref-46)
47. - المرجع السابق، ص ص257، 258. [↑](#footnote-ref-47)
48. - شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص ص 114، 115. [↑](#footnote-ref-48)
49. - القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل، ج16، نشر وزارة الثقافة والإرشاد القومي ، د ت ، ص197. [↑](#footnote-ref-49)
50. - شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص116. [↑](#footnote-ref-50)
51. - القاضي عبد الجبار، المغني في أبواب التوحيد والعدل،ج16، ص 199. [↑](#footnote-ref-51)
52. - المصدر السابق، ج16، ص199. [↑](#footnote-ref-52)
53. - شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص119. [↑](#footnote-ref-53)
54. - القاضي عبد الجبار، المغني في التوحيد والعدل، ج16 ،ص 199. [↑](#footnote-ref-54)
55. - شوقي ضيف، البلاغة تطور وتاريخ، ص161. [↑](#footnote-ref-55)
56. - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، تحقيق الشيخ محمد رشيد رضا، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، وحدة الرغاية، الجزائر، 1991، ص94. [↑](#footnote-ref-56)
57. - المصدر نفسه، ص…. [↑](#footnote-ref-57)
58. المصدر نفسه ، ص 95 . [↑](#footnote-ref-58)
59. المصدر السابق ، ص 95. [↑](#footnote-ref-59)
60. - محمد محمد أبو موسى، مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني، مكتبة وهبة، القاهرة، مصر، ط1، 1998، ص ….. [↑](#footnote-ref-60)
61. - محمد محمد أبو موسى، مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني، ص. [↑](#footnote-ref-61)
62. - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص ص356-357. [↑](#footnote-ref-62)
63. - المصدر السابق، ص ص108-109. [↑](#footnote-ref-63)
64. - المصدر نفسه، ص356. [↑](#footnote-ref-64)
65. - المصدر السابق، ص43. [↑](#footnote-ref-65)
66. - المصدر السابق، ص68. [↑](#footnote-ref-66)
67. - المصدر نفسه، ص96. [↑](#footnote-ref-67)
68. - عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تحقيق الشيخ محمد عبد والشيخ محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ص 60. [↑](#footnote-ref-68)
69. - محمد محمد أبو موسى، مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني، ص ص 61 ،62. [↑](#footnote-ref-69)
70. - المرجع السابق، ص65. [↑](#footnote-ref-70)
71. - أحمد أبوزيد، مقدمة في الأصول الفكرية للبلاغة وإعجاز القرآن، ص97. [↑](#footnote-ref-71)
72. - أحمد حسن صبرة، التفكير الاستعاري، مكتبة الوادي، بدمنهور، ط2، 2002، ص104. [↑](#footnote-ref-72)
73. - درويش الجندي، نظرية عبد القاهر في النظم، مكتبة نهضة، مصر القاهرة، 1960، ص74. [↑](#footnote-ref-73)
74. - محمود أحمد نحلة، في البلاغة العربية، علم المعاني، دائرة العلوم العربية، بيروت، لبنان، ط1، 1990، ص28. [↑](#footnote-ref-74)
75. - دلائل الاعجاز، ص69. [↑](#footnote-ref-75)
76. - المصدر السابق، ص ص69-70. [↑](#footnote-ref-76)
77. - المصدر السابق، ص12. [↑](#footnote-ref-77)
78. - المصدر السابق، ص106. [↑](#footnote-ref-78)
79. - أحمد يوسف هنداوي، الإعجاز الصرفي في القرآن الكريم ، دراسة نظرية تطبيقية ، التوظيف البلاغي لصيغة الكلمة ، المكتبة العصرية صيدا ، بيروت ، 2002، ص ص71 ،72. [↑](#footnote-ref-79)
80. - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص58. [↑](#footnote-ref-80)
81. - المصدر السابق، ص 60. [↑](#footnote-ref-81)
82. - المصدر نفسه، ص61. [↑](#footnote-ref-82)
83. - البيت للصمة بن عبد الله بن طفيل بن الحارث بن قرة بن هبيرة بن عامر بن سلمة الخير إبن قشير بن كعب [↑](#footnote-ref-83)
84. - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص60. [↑](#footnote-ref-84)
85. - صالح بلعيد، نظرية النظم، ص….. [↑](#footnote-ref-85)
86. - محمود أحمد نحلة، في البلاغة العربية، علم المعاني، ص32. [↑](#footnote-ref-86)
87. - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص ص 94 ،95. [↑](#footnote-ref-87)
88. - المصدر السابق، تحقيق محمد رشيد رضا ، مكتبة القاهرة ، 1961، ص ص 266 ،267 . [↑](#footnote-ref-88)
89. - عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز ، صحح أصله الإمام محمد عبده والشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي ، علق عليه محمد رشيد رضا ، دار المعرفة ، بيروت ، لبنان ، ط1، 1994، ص2. [↑](#footnote-ref-89)
90. - زكي مبارك، النثر الفني في لاقرن الرابع، المكتيبة العصرية، صيدا، بيروت، دت، ج2، ص7. [↑](#footnote-ref-90)
91. - المرجع نفسه، ج2، ص7. [↑](#footnote-ref-91)
92. - عبد العزيز عتيق، في البلاغة العربية، علم البيان، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، 1985، ص22. [↑](#footnote-ref-92)
93. - عبد القاهر الجرجاني، دلائل الاعجاز، ص2. [↑](#footnote-ref-93)
94. - محمد عبد المنعم خفاجي وآخرون، الأسلوبية والبيان العربي، الدار المصرية اللبنانية، ط1، 1992، ص87. [↑](#footnote-ref-94)
95. - سيد قطب،النقد الأدبي أصوله ومناهجه ، الطبعة الشرعية السادسة ، 1990، ص126. [↑](#footnote-ref-95)
96. - محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون ، الشركة المصرية للنشر لونجمان ، ط1، 1994، ص 64. [↑](#footnote-ref-96)
97. - عبد المنعم خفاجي وآخرون، الأسلوبية والبيان العربي الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، ط1، 1992، ص33. [↑](#footnote-ref-97)
98. - المرجع السابق، ص33. [↑](#footnote-ref-98)
99. - المرجع نفسه، ص ص33-34. [↑](#footnote-ref-99)
100. - المرجع السابق، ص ص98-99. [↑](#footnote-ref-100)
101. - محمد محمد أبو موسى، مدخل إلى كتابي عبد القاهر الجرجاني، ص…. [↑](#footnote-ref-101)
102. - أحمد درويش، دراسة الأسلوب بين المعاصرة والتراث، ص ص95-96. [↑](#footnote-ref-102)
103. - محمد عبد المنعم وآخرون، الأسلوبية والبيان العربي، ص34. [↑](#footnote-ref-103)
104. - المرجع السابق، ص ص195-196. [↑](#footnote-ref-104)
105. - ….. الأسلوبية والبيان العربي، ص159. [↑](#footnote-ref-105)
106. - عبد القادر حسن، أثر النحاة في البحث البلاغي، ص366. [↑](#footnote-ref-106)
107. - المرجع نفسه، ص ص366-367. [↑](#footnote-ref-107)